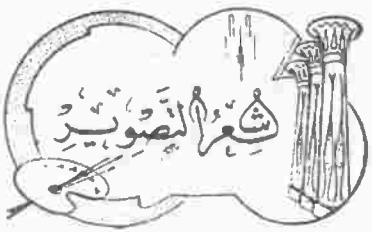

المساء فى الصحراء

دنا الليلُ والصَّحْراءُ فى روعةٍ له ... وإنْ لُمِحَتْ فى راحةٍ وسكونِ
ولم يَبْقَ من شمس الغروب ونورها ... سوى لوعةٍ فى صُفرةٍ وحنينِ
تُقَبِّل كثبانَ الرمالِ ، وكلُّ ما ... تقبِّل فى وجدٍ ويأسٍ حزينِ
غزتْها جنودُ الزَّنجِ والوقتُ مُسعفٌ ... وكم داولتْها فى ألوفِ قرونِ
هو الوقتُ لا يرعَى جمالاً برحمةٍ ... وكلُّ سعيدٍ عنده كغبينِ
دنا الليلُ والشمسُ السخيةُ أخلفتْ ... حرارتُها موتاً وبُخْلَ ضنينِ
وأقبل قُرُّ الليلِ قبلَ مجيئهِ ... فيا لخؤونٍ سابقٍ لخؤونِ !
تَهارَبَ منه أهلُها وتجمّعوا ... على النار مثلَ العابدين لدينِ
ومدّوا الأيادى السائلاتِ نوالها ... فنادتْ عليهم فى لسانٍ مُبينِ
ووزَّعَتْ السحرَ الذى يرتجونه ... حياةً وايناساً وأمنَ أمينِ
تكاد العيونُ الناظراتُ لهيبَها ... تَناولُ منها ذُخْرَها لسنينِ
وتبخل حتى بالدخانِ يفوتها ... وتُؤْخَذُ من ألوانها بفنونِ !
وقد وقفَ الجمّالُ والجملُ الذى ... عليها أطلاَّ فى خشوعِ مَدينِ
كأنّ بها للشمسِ رُوّحاً تنوَّعتْ ... وقد سُجِنَتْ لكنْ كغيرِ سجينِ !
وهل دانت الصحراءُ الاَّ لشمسها ... جماداً وحيّاً قبل جودِ عُيونِ
كأنّ تلالَ الرملِ كنزُ أشعةٍ ... من الشمسِ فاعتزَّتْ بكلِّ ثمينِ
دنا الليلُ فاخطفْ قبل فوتٍ مُنوَّعاً ... من الظِّلِّ والأصباغِ غيرَ مَهينِ
فهذى صنوفٌ من حياةٍ تبدَّدتْ ... وهذى مَعانٍ مِنْ مُنىً ومَنُونِ

احمد زكى أبو شادى